المعتقدات الزرادشتية في المصادر البهلوية

الدكتور قاسم حسن الشيخ
كلية التربية للبنات – جامعة بغداد

البحث يتناول الكلام عن جانب من معتقدات الفرس القدماء حسب ما ذكرته المصادر البهلوية حيث أن أهورا مزدا هو الخالق وهو الحكيم المدبر والعظيم في العالم كله وهو الذي خلق كل شيء جميل فالله في نظر الفرس القدماء هو اهورا – مزدا ، وأن الشيطان الشرير هو اهرمان وهو مخلوق شرير / وبناء على هذا يعتقد الفرس أنه يوجد خالقان اثنان اهورا – مزدا هو خالق كل خير والشيطان اهرمان خالق كل شر ، وأن آله الخير اهورا مزدا يناضل ضد آله الشر اهرمان وانه لابد أن يأتي الوقت الذي تنتصر فيه قوة الخير على قوة الشر فالذي يجب أن يفعله انسان ليسير في الطريق الى الله الحكيم ، هو الفكر الطيب والقول الطيب والفعل الطيب ، وعلى عكس ذلك فالذي لا يسير في الطريق الى الله الحكيم والعادل هو الفكر السيئ والقول السيئ والفعل السيئ . يتناول البحث في بعض جوانبه الكلام عن عقاب الروح الشريرة وثواب الروح الخيرة ، ثم من هم الأخيار والاشرار في نظر الفرس القدماء كذلك يتناول الكلام عن اهورا – مزدا ومخلوقاته ضد مخلوقات الشيطان اهرمان ونضال اهرمان ضد الإنسان الأول "كيومرت" وأخيراً يشمل البحث الكلام عن مخلوقات آله الخير اهورا مزدا وموقفها من مخلوقات الشيطان الشرير اهرمان ووصف للحياة الأخرى (الجحيم) كما ذكرتها لنا المصادر البهلوية .

أمثلة من عقاب الروح الشريرة في المصادر البهلوية :

تذكر المصادر البهلوية ان الذي يفكر طيبا ويقول قولا طيبا ويعمل عملا طيبا سوف يكسب الجنة ، وأن الذي يفكر تفكيرا سيئا ويقول قولا سيئا ويعمل عملا سيئا سوف يكون مصيره النار ، وأن الجنة تنتظر الطيبين وأن الجحيم ينتظر السيئين[١] .

نفس هذه المصادر تذكر أن هناك شخصية اسطورية اسمها "ارادا-فيراف" Arada-Viraf[٢] كانت قد زارت الجحيم وبقيت فيها مدة سبعة أيام وكانت في نوع من الغفوة والخدر الذهني حيث قطعت روحها الفراغ الكائن بين السماء والجحيم ، ثم استدارت نحو جسر اسمه سنفات Cinvat[٣] حيث رأت كل انواع العذاب والعقاب التي في الجحيم[٤] .

لقد رأى اردا – فيراف الأشرار الذين لم يؤمنوا بديانة اهورا – مزدا والآلهة الطيبين الآخرين والذين كانوا قد مارسوا السحر والشعوذة والكذب وعملوا على توسيخ الماء والنار . ففي الفصل العاشر من الكتاب يذكر "وصلت الى مكان الجحيم حيث رأيت أحدى النساء تعذب عذابا شديدا سألت أي ذنب اقترفته هذه المرأة لكي تعاقب بمثل هذه العقوبة ، لقد كان الجواب من الروح الطيب (سروش) Sroch وازيد آتار Azid-Atar[٥] هذه هي روح المرأة الشريرة التي خلال حيضها وطمثها لم تأخذ الحيطة والحذر حيث لمست الماء والنار[٦] وفي الفصل الحادي عشر يذكر اردا – فيراف . لقد رايت روحا لرجل كان قد قتل إنسانا بدون ذنب بعد أن جلد هذا الرجل وقطع رأسه سألت أي ذنب اقترفه هذا الرجل لكي يعاقب بمثل هذه العقوبة ، لقد جاء الجواب من الروح الطيب سروش وازيد – أتار هذه هي روح رجل ((درفند Darvand)) [٧] الذي كان في حياته قتل رجلا صالحا وبدون ذنب ويستمر ارادا – فيراف في وصفه للجحيم فيقول : ((ثم رأيت أحد الأشخاص وهو على وشك الموت من شدة العطش يصبح ويصرخ (أنني أموت عطشا) لقد نتف شعر رأسه ولحيته ، سألت أي جريمة وأي ذنب اقترفه هذا

الرجل لكي يعاقب بمثل هذه العقوبة ، كان الجواب من الروح الطيب "سروش وازيد – اتار" انه في حياته المادية لم يطبق القوانين المزدية ولم يردد اناشيد الكاثا Gatha[٨] .

ويسترم اردا – فيراف في وصفه فيذكر في الفصل الثاني عشر : (لقد رأيت ارواح كثيرة لمجموعة من الأشرار ، نساء ورجال ، حيث الحيوانات المفترسة تنهش أجسادهم وترفسهم بأرجلها ، سألت الروح الطيبة سروش وازيد – اتار أي ذنب اقترفوه لكي يقاسوا كل هذا العذاب ، كان الجواب انهم عوقبوا هذا العقاب لأنهم كانوا يمشون حفاة الأقدام وعراة ولم يلبسوا الحزام المسمى بحزام ((الكستي Costi)) [٩] .

وأخيراً وفي الفصل الثالث عشر يصف لنا اردا – فيراف الجحيم فيقول : (أنني رأيت الروح لإنسان شرير لسانه مدلى وقد عض من قبل حيوان مفترس، سألت أي ذنب اقترفه هذا الإنسان ، لقد كان الجواب ، هذه هي روح رجل ملعون الذي كان في حياته يغتاب الناس ويبذر الخلاف فيما بينهم ، ولهذا فهو يعاقب بمثل هذه الذنب[١٠] .

من هو الأخيار ومن هم الاشرار في نظر الفرس القدماء:

لقد أصبح واضحا لنا أن الفرس في الأزمنة القديمة ، فهم كانوا يعتقدون ان العالم تسيطر عليه قوتان عظيمتان قوة الخير وهي ممثلة بالآله اهورا – مزدا وقوة الشر وهي ممثلة بالشيطان اهرمان Ahriman وان هنالك نضال مستمر بين هاتين القوتين حيث انه في كل ليلة يندفع الأشرار[١١] والشياطين ويقذفون خارج الجحيم لكي يضطهدوا مخلوقات اهورا – مزدا . فمنذ شروق الشمس يبدأ مزدا Mazda ومعه مساعديه وهم فاهومان Vahuman ، اردا فاهيشت Vahisht – Arda ، شاهريف Shahrif ، سبندرمات Spendermat ، خرداد Khurdad ، مرداد Mordad ، سروش Srosh ، رشن Reshn ، فهرام Vahram ، برز Berz ، دكسمان Deksman ، افرين Avrin ، وأخيرا تيروسلتك Tirosatic ،

وكل الآلهة الطيبين الآخرين حيث يقومون بحرب الشيطان اهرمان ومخلوقاته فيقومون بقذفهم داخل الجحيم ، وأن الآله مهر Mihr وظيفته التجوال خلال الليل متفحصا سلطته وقوته على مخلوقات مزدا لكي يبعدهم عن الشيطان والاشرار[١٢]. أن كل عمليات النضال هذه نضال الخير ضد الشر ، ونضال النور ضد الظلام ، تعتبر من الأمور الأكثر أهمية والأكثر قدسية حسب ما يعتقده الفرس القدماء ، فهي موضوعة ومرتبة بصورة أكثر دقة ، ولكنها في حقيقتها لا تعتبر إلا سوى عمليات نضال واحد ، وأن البطلان اللذان يمثلان هذا النضال هما آله الخير اهورا – مزدا وآله الشر اهرمان[١٣] . أن اهورا – مزدا لا يناضل بمفرده بل يعاونه آخرون وهؤلاء هم ما يعرفون بالامشسبندات الستة حيث يتعاونون جميعا في هذا النضال ، نضال الخير ضد الشر ونضال النور ضد الظلام[١٤] .

ويذكر لنا كتاب البندهش (كتاب الفرس القدماء) انه توجد مع الآله الشيطان اهرمان ستة شياطين يقابل بهم الامشسبندات الستة ، وعلى هذا الأساس تبدو الصفحة لهذا الترتيب ثلاثة من هذه الشياطين هي بأسماء الهة الهند مثل آن An ، واندرا Andra وسرفا Serva وناستيا Nastia ، ومن هذه الأسماء أتت اسماء اندرا وساؤورد ونا ارونها ئيتا واكارمنو الرأي السيئ والذي هو بالطبع خصم لفوهو – منو أي الرأي الصالح وتعزى وظيفة خاصة الى (اثة شما) Athe-chema شيطان الغضب والتخريب والمعروف بأسم أسمودة Asmode . أن اهورا – مزدا في حقيقته يعتبر أول من يقع عليه عبأ النضال ضد الشياطين والاشرار والديات[١٦] .

ان الآله الشيطان اهرمان هو الذي يقود الشياطين الآخرين (الديات) أو (الديوات) فهذه الكلمة هي نفس الكلمة السنسكريتية او اللاتينية الأصل (دة فا ، ديفوس) ويراد بها الآلهة الشريرة[١٧] .

أما الكائن الثاني الذي يقود عملية النضال ضد مخلوقات الشيطان اهرمان فهو الروح الطيب فاهومان Vahuman[١٨] ، وهو من بين المخلوقات الطيبة الذي

كان قد استلم الحراسة لأنواع مختلفة من الحيوانات ، حيث خلقوا كمساعدين ومعاونين له ، ويعتقد الفرس القدماء أن فاهومان هو الذي خلق وكون الحيوانات من خمسة عناصر هي : الجسم ، الحياة ، الروح ، الشكل والنفس ، وهو الذي كون ما يسمى بأسم كوشرون Goshurun[١٩] حيث أن أسمه في الزند Gush-urran وهو روح النور ، حيث استلم من الارض ومن القمر بذور الحيوانات وعمل على نشرها في كل العالم لكي يتعاونوا مع الآله المسمى رام Ram[٢٠] .

وتذكر لنا المصادر البهلوية ، أنه عندما يموت الحيوان ، فأن الجسم يرتبط مع الآله كوشرون وأن الروح تخرج نحو الآله رام ، ثم تستدير الروح والجسم نحو الآله فاهومان[٢١] . ممثل الروح الطيب .

أما الكائن الثالث من هذه الأرواح أو الآلهة ، فهو الإله ارتفاهيشت Artavahish[٢٢] ووظيفة الأشراف على النار ووضعها تحت حمايته وحراسته[٢٣].

والكائن الراعب والآله الرابع هو (شاتفر Shutver) ووظيفته الاشراف على جميع المعادن والفلزات كالذهب والفضة ، وكل هذه المعادن والفلزات تحت حماية وحراسة هذا الإله[٢٤] .

وبالإضافة الى ما ذكرنا فهناك عفاريت وأرواح اخرى ، خلقت لمساعدة ومعاونة آله الخير اهورا – مزدا في أمور أخرى ، وهؤلاء هم ((خور Khor[٢٥]، مترو Mitro[٢٦] ، ايتران Atiran[٢٧] ، سوك Souk[٢٨] ، اردفيسور[٢٩] ، ازدهوم[٣٠] ، ازدبورج[٣١] وأخيراً دهمان افرين[٣٢])) .

أما الكائن الخامس من الارواح الطيبة فهو (سبندرمات) Spendermat وهو آله الخشوع والخضوع والورع والتقوى ، كذلك من بين المخلوقات المادية المساعدين للآله أهورا – مزدا الروح الطيب Apan ، آله المياه ، دين Din ، آله النضال وكذلك الآله ارت Art آله الخصوبة وهذه الآلهة كلها تناضل ضد مخلوقات الآله الشرير اهرمان[٣٣] .

أما ممثل السلام والطمأنينة فهو الآله اشتيك Ashtik ، وهناك أرواح طيبة أخرى مثل ارتائية Artaih واردفيسور Ardvisur واناهيت Anahit ، وهؤلاء جميعاً هم المعاونين والمساعدين للروح الطيب ابان Apan آله المياه فهم خلقوا وتهيأ لكي يجلبوا السعادة والاستقرار[٣٤] .

أما الكائن أو الآله السادس فهو الآله خردات Khordat وهو حارس الماء، وهناك بالإضافة الى الآلهة التي ذكرت هناك مخلوقات مادية خلقت لمساعدة الآله خردات مثل الروح الطيب تير Tir او تشتار Tishtar وهو أسم لأحد النجوم ، وهو في نفس الوقت آله النجوم وهو يمثل الكوكب عطار ، وهو بالإضافة الى ذلك آله المطر لدى الفرس[٣٥] .

أما من بين الارواح الأخرى فهو الآله امردات Amurdat وهو حارس للاشجار والنباتات وهو في كتاب الزند امرتات Amurtat ، حيث أن كل أنواع الزرع والنباتات والأشجار يتعاونون معه في مهمته هذه . أما أهم المخلوقات المساعدين له فهم راشن وهو آله الصدق والشرف والاستقامة والفضيلة ووظيفته الحاكم في منطقة الجحيم ، أما اشتات Ashtat فهو دليل لكل الكائنات الموجودة في العالم الثاني ، وهو كذلك مثل الآله راشن Rashn قاضي في منطقة الجحيم ، وأخيراً الآله زميات Zamyat آله الأرض وحاكم للنار[٣٦] . وبالإضافة الى ما ذكرنا توجد أعداد لآلهة وأرواح أخرى ليس لها عدد وعملهم هو مساعدة الأرواح السابقي الذكر ، حيث هناك أرواح وآلهة تنشأ وتخلق في كل ساعة وكل يوم وكل شهر حيث أن كل واحد منهم مختص بفترة من الوقت ، فآله الفجر هو كاه هفان Kah-havan ، وآله الظهر هو رايستفان Raystvan ، وآله بعد الظهر هو كاه اوزيرين Gahozyrin آله النصف الأول من الليل وهو اسيسكروكسرام ، وآله نصف الليل حتى الفجر هو كاه اوشاهين ، وهذه العفاريت والآلهة لها ادوار وأعمال تقوم بها وهي ادوار ثانوية فالآلهة كاهافان يقوم بعمل مساعد الى فزو

والآله رايستفان الى ارتناهيشت واوزيرين الى ازدبورج واسيسكروكسرام الى فروهار واوشاهين الى الآله سروش العادل[٣٧] .

ومن الجدير بالذكر أنه في اللحظة التي يقوم بها الشيطان بهجمة وغزوة فأن اليوم يأخذ في الانقسام الى خمسة أوقات ، وأن الوقت الذي يقوم به الشيطان اهرامان بغزو اهورا – مزدا ومخلوقاته يكون دائماً وقت الظهيرة ، وهذه الغزوة يمثلها دائماً الشرير راستيفان Rapstivan ، وكثيرا ما يذكر اهورا – مزدا جماعته بأنه هو دائما يرسل الروح او الآله خيران – هارفسب Harivsp[٣٨] الى الناس حيث كثيرا ما يذكرهم بقوله : ((ان أهم شيء قمت به تجاهكم هو خلقي لكم في هذا العالم لكي تناضلوا روحيا وجسديا ضد الشيطان والدروج وذلك عقوبة لها ولكي تكون نهايتها الجحيم الأبدي ، وسأردكم في النهاية أصحاء الأجسام خالدين غير ميتين ، كما انني خلقت لكم الروح الطيب هاميك كاز Gas-Hamik لكي يبعد عنكم المرض والشيخوخة . وعلى كل هذا نستطيع القول ان النضال الحقيقي يجري بين قوتين الأولى قوة الخير المتمثلة بالآله اهورا – مزدا والثانية قوة الشر متمثلة بالآله الشيطان اهرمان[٣٩] .

امثلة من نضال اهورا – مزدا ومخلوقاته ضد أهرمان الشيطان :

يعتقد الفرس القدماء أن قوة الخير التي يمثلها اهورا – مزدا لابد أن تنتصر على قوة الشر التي يمثلها اهرمان ، ولهذا فالنضال بين القوتين مستمر وعلى الدوام . فالشيطان اهرمان يناضل ضد مخلوقات اهورا – مزدا ، والآلهة الشريرة تناضل ضد الآله الطيبة ، فالشرير اكومان يناضل ضد الآله الطيب فاهومان ، واندرا ضد ارتافاهيشت ، سافال ضد امردات ، خشم ضد سروش وميتوخت الآله الكذاب ضد المتحدث بأسم الحقيقة الشعوذة ضد مانسوراه Mansoura[٤٠] الخالص والنقي . والنقص يناضل ضد الزيادة . والفكر الرديئة ضد الفكرة الطيبة[٤١] . وفي جبهة واحدة يقف كل من الشريرين استفيهان الذي هو شيطان الموت يقف مع الآله الشرير فاي Vay ضد الروح الطيب رام Ram،

وقارون Vanun المجنون التائه ضد العقل ، والبلادة ضد النشاط والحيوية ، وآله الحقد والضغينة ضد السلام ، والمعاناة ضد الرغبة ، والعفونة ضد العطور والرياحين ، والظلام ضد الضوء والنور ، والسم القاتل ضد مادة الحياة "elixir" والكآبة ضد الحلاوة والعذوبة . والبخل ضد الكرم ، والعمى والضلال ضد البصيرة والفطنة[٤٢] .

ويناضل آله فصل الشتاء ضد آله فصل الصيف ، والبرودة ضد الحرارة، الجفاف ضد الخضرة ، عالم الجحيم ضد عالم الجنة ، والعذاب والتعاسة ضد السعادة والغبطة ، الهرطقة والبدع ضد التقوى ، الشيخوخة ضد الشباب ، الليل ضد النهار ، الشراسة ضد المحبة والسلام ، والخراب المسمى "زناكية"[٤٣] Zanakih ، ضد الأصلاح والتكوين ، الشعوذة المسماة رماية Rimauih ضد النقاء ، النجاسة المسماة نسروشتية Nasrushtih[٤٤] ، ضد الطهارة والنقاء والانزعاج والكدر ضد الأنشراح والحبور ، كذلك يوجد هناك أعداد كثيرة من الشياطين المعارضين للآله ازيد Ized[٤٥] . فالشياطين المسماة دروج Druj يناضلون ضد الأرواح الطيبة وضد الملائكة المسماة Bakan[٤٦] وفي العالم الثاني الظلام يناضل ضد النور ، والعطش ضد الماء هور Hur والخارفستار Kharfastar[٤٧] يناضلون ضد الأرض ، والجفاف ضد الزرع والنبات ، والموت والمعاناة ضد العلاج ، والأطفاء والأخماد ضد الاشتعال وضد النار عندما تحرق الإنسان والحيوان والأشجار ، وتناضل الأسود والذئاب ضد الكلاب وقطعان الماشية[٤٨] .

نضال الشيطان ضد الإنسان الأول كيومرث

بالإضافة الى ما ذكرناه سابقا من نضال الشيطان اهرمان ومخلوقاته ضد اهورا – مزدا ومخلوقاته . المصادر البهلوية تذكر لنا ان هنالك نضال آخر لنضال اهرمان ضد الإنسان الأول كيوموت ، فهذه المصادر تذكر ان كيومرث عاش ما يزيد على ثلاثين سنة تحت سيطرة الشيطان في حرب ونضال مع

الكواكب والنجوم ، كذلك ذكر عنه انه قبل وقت مجيء الشيطان أن البطل كيومرت خلق لكي يعيش ثلاثين شتاء من أجل السيادة والمملكة ، عند مجيء الشيطان اهرمان ، كان النجم والكوكب اهورا – مزدا فيما يسمى ببرج السرطان Kala-cang والذي كان يسيطر على الماء وفي اوج غبطته انتصر على خصمه زحل Kaivan في برج الميزان Tanazul ، لقد حدث ذلك عندما كانت المياه تحت سطح الأرض ، وقد وصلت الى ذروتها منتصرة على خصومها وجالبة الموت والدمار لهم ، حيث أن آله الخير اهورا – مزدا كان في أوج عظمته وكان يعمل على أسقاط المطر ، وقد انتصر على زحل وأبعد الموت عن كيومرت[٤٩] خلال ثلاثين سنة ، وعندما عاد زحل ثانية الى برج الميزان او التعادل وهذا يعني انه وصل الى أوج عظمته وذلك في نفس اللحظة التي كان فيها الكوكب اهورا – مزدا قد رجع ثانية الى مكانه حيث أن الموت انقض على كيومرت وأهلكه[٥٠] .

وسقط كيمرت ميتا على جهته اليسرى ، وترك جذوره تجري على وجه الأرض ، وهذا الشيء هو نفسه حصل فيما يخص الناس الآخرين ، الذين يتركون بذورهم تجري وتنساب في اللحظة التي يموتون فيها[٥١] .

ومثل ما كان جسم كيومرت متكون من مواد معدنية حسب ما يعتقده الفرس ، فأن السبعة أنواع والأصناف من المعادن تظهر من جسمه وبذوره وتسقط على الأرض وفي بداية الخمسين سنة يتكون من هذه البذور مشية ومشيانة[٥٢] . حيث أنهما بوجودهما وبخلقهما للبشر يكونا قد أدى بالحياة لكي تستمر على صورتها الطبيعية والحقيقية ، أن إبادة وتدمير الشياطين والروح الشرير المؤذي Zanak-Minoui[٥٣] في حقيقته يعتبر النضال الأول الذي يقوم به كيومرت ضد زنك منوا رئيس الشياطين الأشرار[٥٤] أما النضال الآخر فهو نضال النار ضد شيطان الأعاصير سبانجورش[٥٥] . والمصادر البهلوية لاسيما كتاب البندهش البهلوي يذكر لنا كيف ان الشيطان زنك – منوا Zanak Minoui أرسل النار "فازيشت"[٥٦] وهي محملة بالماء ، والنار فارنباغ Farnbag[٥٧] والنار كوشاسب

Gushasp[٥٨] والنار برزين مترو Burzin-Mitro[٥٩] وهناك أنواع أخرى من النار وهي التي تكون داخل الأعشاب والنباتات والإنسان والحيوانات ، وهي مكلفة بحماية الروح التي تعمل على حفظهما ، وعلى انباء العالم والخلق والمخلوقات[٦٠] . أما النضال الآخر فهو ما يخص نضال النجوم ضد الدروج ((الشياطين)) حيث أن كل واحد من هذه النجوم يناضل ضد خصمه الآخر ، وهذا في حقيقته يعتبر النضال الأول للارواح السماوية ضد زنك – منوا Zenek-Minoi وخلال خمسة أيام وخمسة ليالي الأرواح السماوية ظلت يقظة وبدون أن تنام وبدون أن تتناول أي غذاء[٦١] .

بقية انواع الخلق الأخرى التي خلقت بواسطة اهورا – مزدا :

لقد ظل (زنك منوا Zanak-minoi) (الشيطان اهرمن) راقدا لمدة ٣٠٠٠ سنة في اضطراب وقلق ، وخلال هذه الفترة من الضعف والخمول ، فقد أباح وكشف أهورا – مزدا الخلق تحت شكل مادي من الضوء الغير منتهي[٦٢] . حيث أنه خلق النار ، ومن النار خلق الهواء ومن الهواء خلق الماء ، ومن الماء خلق الأرض ، ولكل الكائنات الجسدية به التي تعيش في هذا العالم ، وكل هذا ذكرته لنا الكتب البهلوية لاسيما كتاب الافستا Avesta[٦٣] وفي البداية الخلق لم يكونوا سوى قطرة من الماء ، وهذا يعني أن كل شيء أتى من الماء ما عدا بذور الرجل والحيوانات وذلك لأنها بذور وحيامن خلقت من النار وعندهم أن الدنيا تدوم أثنى عشر ألف سنة ، وتنقسم الى أدوار اقصر ، وكل دور يمتد لثلاثة آلاف سنة ، فالدور الأول هو دور الخلقة الروحية فيه يخرج اهرمن من الظلمات فيبهره النور ، حيث يعرض عليه اهورا – مزدا الصلح لكنه يرفضه ، فيعرض عليه هرمز حربا تدوم تسعة آلاف سنة علما منه أن الروح الشرير سيقهر عند انتهائها ، والدور الثاني هو دور الخليقة المادية فيه يخلق اهورا – مزدا الامشسبندات الستة ، والسماء والماء والأرض والنبات والحيوان والإنسان ، وفي الوقت عينه يخلق اهرمان الشيطان والأرواح الشريرة والدور الثالث يرينا في البشرية النزاع بين

الخير والشر يمتد من البشر الأول كيومرت الى مبعث زاردشت وقبـــول الملـــك فشتاسب الاصلاح والدور الرابع يمتد من ظهور زرادشت الى يـــوم الحســـاب ، حيث تبعث فيه الموتى وينتصر اهورا – مزدا على الشيطان اهرمان ويسود الخير بلا منازع[٦٤] .

لقد خلق اهورا – مزدا في بداية الأمر السماء ، وثانيا خلق الماء لكي ينقل بواسطة الدروج Durug (الشياطين) ، وثالثا خلق الأرض والتي تحتوي على كـل الأمور والقضايا المادية[٦٥] . ورابعا خلق النباتات لكي ينقذ الثور والأنعام وخامسا خلق النور لكي يجلب الطمأنينة للإنسان النقـــي المســـمى احـــلاف Ahlav[٦٦] . وسادسا خلق الإنسان النقي والورع لكي يضعـــف قـــوة الشـــيطان زنـــك منـــوا والشياطين الآخرين ، ثم خلق النار البهية اللامعة ، وخلق شكلاً وجسماً جميلاً مثل اتاشكاماك Atash Kamak ، ثم خلق الهواء على هيئة شاب عمره خمس عشـــر سنة[٦٧] والذي وظيفته جلب الماء والزرع والخضرة وقيادة قطيع الغنم ، وخلق في البداية السماء المشحنة والمتألقة على شكل مدارات طويلة جوهرها (خوناكـهين) . لقد خلق اهورا – مزدا كل العالم في داخل السماء ، وهذا يشبه قلعة في داخلـــها جمع كل الآلات والتي تكون ضرورية لأجل النضال ، أو كمثل بيت فـــي داخلـــه وضع كل شيء ضروري ، وان اسس السماء كانت بقدر ما هي عريضـــة فقـــد كانت طويلة وكذلك نفس الشيء بالنسبة لجدرانها . أن ملك السماء يمســـك هكـــذا بيده السماء أنه خُلق بواسطة اهورا – مزدا لكي يحميه ، ويحمـــي الســـماء مـــن غضب الشيطان اهرمان ، ومن القسم الثالث من الماء خلق الأرض علـــى شـــكل مدور ذات طرق متباعدة[٦٨] فهي سميكة تستقر وتنظم في وسط السماء ، ومثلمـــا قيل في الأفستالقد خلقت في البداية تلك الارض ثم فـــي المرحلـــة الثانيـــة خلـــق الثلث الآخر ، وفي المرحلة الثالثة اتم خلقها ، وخلق في داخلها المياه والأحجـــار والصخور ، ثم خلق الجبال التي شهقت وأرتفعت وكبرت ، لقد خلـــق اهـــورا – مزدا هذا كله ، وخلق الأرض لكي تحميه وتحمي ملائكته ، أنه خلق الأرض على هيئة طريقة رجل يضع على جسمه عدة أنواع من الملابس ، تحت هـــذه الأرض

وفي كل موضوع منها يوجد الماء ، وفي القسم الثالث خلق النبات والزرع والتي تنبت في البداية في وسط الأرض ، وعلى ارتفاع بضعة أقدام بدون غصون وبدون قشرة "Pust" وبدون أشواك وبدون خضرة ، فهي ناعمة وغضة تحمل في أعماقها وجوهرها كل أنواع البذور لنباتات مختلفة ، لقد خلقها من أجل أن يبقى النبات يانعا ومزدهرا ، وكذلك من أجل الماء والأرض ، حيث أن كل نوع من انواع النباتات لها قطرة من الماء في أعلى قمتها[٦٩] . وفي القسم الخامس من الخلق خلق الثور المسمى (افاك دات Evak-Dat) [٧٠] في (إيران فج) [٧١] في وسط العالم فوق ضفة او جرف لنهر (دائيتا) والذي يقال انه يقع في وسط العالم ، لقد كان أبيضاً ومنيراً كالقمر أرتفاعه يبلغ ثلاثة (ناي Nai) لقد خلقه لكي يعين ويساعد الماء والزرع . وفي القسم الخامس من الخلق ، خلق كيومرت ، واهورا – مزدا خلقه لكي يجلب له المعونة والمساعدة ويذكر البيروني في الآثار الباقية عن القرون الخالية بخصوص كيومرت : (أن الله تحير في أمر اهرمان فعرق جبينه ومسح ذلك ورمى به فصار منه كيومرت ، وأرسله الى اهرمن فقهره وركبه وجعل يطوف به العالم الى أن سأله اهرمان عن أبغض شيء اليه واهوله عنده ، فأخبره انه متى بلغ في باب جهنم يخاف خوفا شديدا فلما ابلغ به اليه جمع واحتال حتى سقط وعلاه اهرمان فسأله عن أي الجهات يبتدأ به في الأكل ، فقال من جهة الرجل حتى أكون ناظراً الى حسن العالم مدة ما علما منه انه يخالفه فيما يقول ، فابتدأ اهرمن من جهة رأسه حتى بلغ مواضع الخصى وأوعية المني من الصلب فتقطر منه قطرات على الأرض ونبتت منه ريباستان تولد من بينهما ميشي ومشيانة ، وهما بمنزلة آدم وحواء ، ويقال لهما أيضاً ملهي وملهيانة ويسميهما مجوس أهل خوارزم مرد ومردانة[٧٢] .

وبما ان مزدا خلق كيومرت في نطاق هذا القصد والهدف وتحت شكل رجل ذا قوام طويل وبعمر خمس عشرة سنة وبشكل ساطع ولماع ، فأنه كذلك خلق الثور من لمعان وطراوة ونظارة السماء ، أنه خلق بذور الرجل وبذور الثور، حيث أن هذين النوعين من البذور هم بذور الناس وليس بذور الماء ، لقد

خلق هذه البذور داخل الرجل وداخل الثور وذلك لكي يتكون بواسطتهما الخلـــق ، وهذه الانواع الستة من الخلق خلقهم واكملهم في سنة "Gahs" والذي يعني وقـت أوكسنبر Gasanbar[٧٣] .

وصف الحياة الأخرى (الجحيم) :

قبل كل شيء أن جهنم تعني في اعتقادات الفرس المجوس مكان الشـيطان (انكرامانيو) ومستقره ، فهو روح الشر او ممثل الشر وهو الشيطان اهرمان[٧٤] . ويصف لنا كتاب البندهش البهلوي الجحيم بأن داخله بارد جداً وأن البرودة فيه هي معطلة لكل الأعمال ، وأن موقعه هو الجهة الشمالية من أسفل الأرض ، ومن هذه الجهة يأتي كل الشر ، كذلك في الجحيم توجد منطقة حـــارة جـداً ، وأن درجـة الحرارة فيها هي أعلى من درجة حرارة نار مشتعلة[٧٥] .

والجحيم هو المكان الأكثر انخفاضا والأكثر اثـــارة للقـيء والاشـمئزاز والرعب ، انه عبارة عن عرين للشياطين والأشرار ، حيث ليس فيـــه أي موقـع لكائن حي وليس فيه أي منفعة أو لذة أو فرح أو سرور ، حيث لا توجد فيـــه الا العفونة والأوساخ والألم والعقوبة والمعاناة والحزن والمرض والقلق ، أن كل هـذه المساوئ والقضايا الشيطانية تقاد وتـــدار بواســطة الآلـــه الشـيطان والشـرير اهرمان[٧٦]. ولكن من هم من الخلق الذي يسكنون الجحيـــم ، الجـواب أن هـذا الجحيم هو المكان الذي يسكن فيه الآله الشيطان اهرمان وجماعته مـــن الأشـــرار الدروج (Durujs) وأن الذي يقوم بقيادة الأرواح وجرها الى النار شيطان أســـمه فيزاراش Vizaras ، وهناك شياطين آخرين يشتركون معه ووظيفتهم ومهمتـــهم هي تعذيب الأرواح عندما تعبر الجسر المسمى جسر سنفات (Cinvat) [٧٧] .

هناك شخصية اسطورية اسمها اردا فيراف Arda-viraf[٧٨] تحدثنا الكتب البهلوية عنها ، أنها زارت الجنة والجحيم ورأت الأشرار الذين لم يعتقدوا بديانـــة الآله اهورا – مزدا والآلهة الطيبين الآخرين ، أنها رأت الذين كانوا قد مارســـوا الشعوذة والسحر والكذب ، والذين في حياتهم كانوا قد عملوا على توســيخ المـــاء

والنار[٧٩] وكذلك الملحدين الذين مارسوا الخطايا والذنوب وخصوصاً من مارس القتل فقتل إنساناً بغير ذنب كالمرأة التي قتلت طفلها . وكذلك كل الخطايا والذنوب التي مورست بحق القوانين والعادات ، ومن مارس نزعة الشر واتصف بالبخل والكذب والسرقة والاختلاس والغش والخداع والكسل والنميمة والوشاية[٨٠] .

وينقسم الجحيم الى ثلاث مناطق ، المنطقة الأولى وتدعى الهامستكان Hamestagan ، وهذا المكان هو المكان الأكثر رعبا والأكثر ظلاما والأكثر اثارة للأشمئزاز ، حيث أن الشر والضرر فيه يوزن بواسطة ميزان خاص ، أما المنطقة الثانية فتدعى Lapire existence أي المكان الأكثر سوء ، وهو المكان الذي توجد فيه الشياطين والأشرار ، أما المكان الثالث فيدعى دروجا سكان Durujaskan ، وهو عبارة عن قاعدة ينطلق منها الظلام والرعب والخوف ، وهو كذلك المكان الذي يهجم منه قائد الشياطين على الأطراف الأخرى في الجحيم ومقرها المنطقة الشمالية في اسفل الأرض ، أما باب الجحيم فتقع في أسفل الأرض من جهة الشمال في مكان يدعى كول دزور Cold' Azor[٨١] .

وأخيرا نستطيع القول ان الفرس القدماء يعتقدون ان الله الخالق هو اهورا – مزدا وهو الحكيم المدبر والأعظم من العالم كله ، الله هو الذي خلق كل شيء جميل خير لأن الله هذا جميل وخير ، الله هنا هو اهورا – مزدا وانجر امانيو Manyu–Angra روح شريرة التي خلقت كل شيء شرير في هذه الدنيا ، وبناء على هذا يوجد اثنان خالقان ، روح خالق للخير وروح خالق للشر ، اهورا – مزدا خالق الخير وانجرامانيو خالق الشر .

العمل الخير والفكر الخير والقول الخير كلها تسجل في جانب بينما العمل والفكر والقول الشرير كلها تسجل في جانب آخر . وعندما يموت الإنسان توجه روحه الى من تمسك بكتاب حياته فإذا كان عمله وفكره وقوله خيرا وكانت أكبر من الفكر والعمل والقول الشرير ، فأن روحه سوف تذهب الى الجنة ، السماء ، وإذا كان الأمر على العكس فان روحه سوف تلقى في جهنم كثيرة الآلام والعذاب،

وفي هذا الوقت فأن الله الخير يعاقب الروح الشريرة ، وكل نفس شريرة سوف توضع في داخل الأرض على الدوام ، وعلى هذا الأساس يعتقد الفرس القدماء ان الصراع لابد أن يستمر ، صراع الخير ضد صراع الشر ، وصراع النور ضد صراع الظلام ، صراع الحق ضد صراع الباطل ، وأنه لابد أن يأتي الوقت الذي تنتصر فيه قوة الخير على قوة الشر وسيعم الخير والسعادة البشرية جمعاء كما أراد لها اهورا – مزدا وخطط لها وناضل من أجلها .

الهوامش :

1 - M.Mole, le Jugement des Morts, sources orientals , Vol IV Paris 1961 , P. 175 , N. 17 .

2 - Arda-viraf nameh, ed. By Daster J. James P Asa. Bombay, 1902 . La traduction Francaise Faite Par M.A. Barthelemy, Paris 1894 , P. 19 .

٣ - جسر سنفات cinvat : (يقع جسر سنفات على احدى رؤوس جبل برزائيتي "جبل البرز والرأس الآخر على سبكات دائتيك في (ايران فه ز) (ايران قره باغ) ويذكر أن هذا الجسر كان قد وجد منذ أن وجدت البرز منذ قيام الخليقة .

4 - Arda-viraf Op.Cit. P. 20 .

٥ - سروش واتار ازيد وظيفتهم استقبال الأرواح الطيبة اثناء عبورهم جسر سنفات ، أن وصف الجنة والنار قد غطى ساحة واسعة من كتاب Arda-viraf من الفصل ١٨ الى الفصل ١٠٠ .

6 - M.Mole , Op. Cit. P. 178 .

٧ - تذكر المصادر البهلوية انه بالإضافة الى الشياطين توجد زمرة أخرى من الكائنات الشريرة أسمها (الدروج) Durug والدروج في البهلوية هو الكذب ومن هذه الكلمة أتى تعبير درفند Darvand والذي ورد في كتاب الكاثا Gatha بمعنى الشرير والكافر وفي الأجزاء الحديثة من كتاب الأفستا Avesta انهم شياطين متجسدون في سكان مستنقعات كيلان جنوب بحر قزوين .

٨ - تنقسم اليسنا Yasna الى ٧٢ ها Ha أي قسما وهي عبارة عن ادعية تقرأ عند تقديم القرابين وتشمل الكائنات الخمسة المكتوبة بلسان قديم جداً يقرأها الشخص المجوسي في أهم أحوال حياته والكائنات جمع كاث Gath وهي اناشيد مجوسية انشأت في مبدأ القرن السادس ق.م وأدرجت في اليسنا .

٩ - الكستي Costi وهو حزام لا يفارق الإنسان المؤمن بالديانة المزدية وهو علامة فارقة لجماعة الزرادشتيين وهو حزام مجوف منسوج من ٧٢ خيطا من الصوف الأبيض ويلف على الخصر ثلاث لفات ترمز الى الثالوث الزرادشتي الفكر الطيب ، القول الطيب ، العمل الطيب ، وهذا الحزام مزين بالنجوم التي تمثل وتعبر عن مجد وعظمة الديانة المزدية .

10 - Adra-viraf Op. Cit. , P. 12 .

١١ - تذكر المصادر البهلوية ان في كل مرة يخلق فيها مزدا مخلوقا طيبا ، يقابله في الجهة الأخرى الشيطان اهرمان حيث يقوم بخلق شيطانا شريرا وذلك لكي تكون حالة النضال في نوع المعادلة أو الموازنة .

12 - P. Gignoux, Lenfer et le Paradis d, apres les sources pehlevies. in J.A, t, 254 Paris 1968, P. 112.

13 - J. Darmesteter, Ohrmazed et Ahriman, Paris 1887 .

14 - M.J. Reville, Anale du Musee Guiment ((Revue de I, histoire des religions, Paris 1895, P. 10.

١٥ - داود الحلبي : الفند يدار مطبعة الاتحاد الجديد الموصل ، ١٩٥٢، ص٢٢، ٢٣.

١٦ - عن تفسير كلمة الداي Dai يذكر أن الشهر الفارسي يقسم إلى أربعة أسابيع، فاليوم الأول من الاسبوع الأول يحمل أسم اهورا - مزدا واليوم الأول للأسابيع الاخرى يسمى داي Dai وهذه الكلمة هي محورة من الكلمة Zend إلى Dathush وتعني Createur أي الخالق عن ذلك أنظر: . M.J. Reveille OP. Cit, P. 35

١٧ - داود الحلبي : المصدر نفسه ص٢١ .

١٨ - فاهومان Vahuman وهو من الامشسبندات الستة ، ذي الفكر الصالح والقول الصالح والعمل الصالح .

١٩ - كوشرون Goshrun وأسمه في الزند Gushurvan وهو حارس الحيوانات وكما يوجد على سطح الأرض .

٢٠ - رام Ram وفي كتاب الزند Rama وهذه الإله وظيفته توزيع الرخاء والثروة .

21 - J.Darmcsteter, Zoro astre dans L, Avesta, Paris 1948 , P.54 .

٢٢ - ارتفاهيشت Artavahish ، في كتاب الزند اسمه Asha-vahishta وهو عفريت النار .

23 - Blochet, Revue de L'histoire des religionsm t, 32 Paris 1893, P. 60 .

24 - Berger, Le Zend-avesta in R.D.M. Paris 1895 , P. 103 .

٢٥ - خور Khor وفي كتاب الزند اسمه هفارك Havarc وهو اسم الشمس أي الشمس اللامعة وهو مأخوذ من الشكل الفارسي Khurshit وهو اسم للشمس أيضاً .

٢٦ - مترو Mitro وفي كتاب الزند اسمه Mithra ووظيفته حراسة القرية والريف .

٢٧ - اتيران Atiran وفي الزند اسمه انكراراؤكا Angra-Raoca ووظيفته الاشراف على ما هو كل طيب ومفيد للناس .

٢٨ - سوك Souk وفي كتاب الزند اسمه Souka وهو عفريت الاعمال الطيبة.

٢٩ - اردفيسور Ardvisor وهو في كتاب الزند اسمه Arsvi-sura-Anahit وهو عفريت المياه ، وهو يشابه في العصور القديمة مرة أفروديت ومرة ارطميس والاسم الفارسي Nahid مشتق من الاسم Anahita .

٣٠ - ازدهوم Azdhum وهو في كتاب الزند Haoma وهو اسم لنبات مقدس وبالنسبة للزرادشتين هناك ثلاثة انواع من الهاؤومة ١- الهاؤومة الذهبية، وهي تنمو على سطح الأرض وتسمى Lizedhom ، ٢- الهاؤومة التي

تعمل على زيادة النمو ، ٣ – الهاؤومة البيضاء وهي عبارة عـــن شـــكل سماوي بيضاء اللون .

٣١ – ازدبورج Azdburg عمله الحقيقي هو الأشراف على إخراج المياه مـــن مصادرها المختلفة .

٣٢ – دهمان افرين Dehman afrine وهو في كتاب الزند دهمان افريني وهـــو إله الخير والبركة .

33 - Benveniste, Le Dieu ohrmazed et Le Dieu Ahriman Paris 1960 , P. 120 .

34 - Anqutil du Perron. Le Zend-Avesta. traduitdu texte Pehlevie Vol. 3 , Paris 1953 , P. 12 .

35 - Duchensne. Ohrmazd et Ahriman Paris 1953 . P. 12 .

36 - Duchensne. L Iran avant Zoroastre Paris 1948 , P. 50 .

37 - J. Darmesteter, OP. Cit, P. 92 .

٣٨ – هارفنسب Hanvisp ، وهو روح أو عفريت لكل العلوم ، وهـــو يظـــهر لزرادشت الأوقات أو المدد المختلفة والتي عن طريقها يسير الكون حســـب المعتقدات الزرادشتية .

39 - P. Gignoux, OP. Cit, P. 85 .

علينا في هذه الحالة أن نتبين كيف تتفـــاعل الأرواح الشـــريرة والأرواح الخيرة من أجل سيادة كل واحد منهم على الآخر ، وعن ذلك نقول ان الإله الشيطان اهرمان خلق سبعة شياطين في العالم وهؤلاء الشـــياطين هـــم ، اكومان ، أنذار ، سفال ، نونانغات ، تاريخ أوتاريك وهشم أو خشم ، وكـــل واحد من هؤلاء هو خصم للاحشبندات الستة . فالإله الشيطان اكومان هو خصم للإله بهمن ، وأندرا هو خصم لاردبيهشت ، وسافاك هـــو خصـــم لشاهرفار ونونغات هو خصم للاسبندرمات ، تاريك هو خصم لخـــردات ،

وامردات ، وخشم هو خصم لسيروش : عن هذا الموضوع أنظر J.Darmesteten. OP. Cit, P. 92 .

٤٠ - مانسورا Mansoura القول أو الكلام المقدس ، وهو يمثل كلام الإله اهورا – مزدا ، وهو في الوقت نفسه يقي نشيدا ولحن يخص أحد الكتب المقدسة الاربع لدى الهندوس والمسماة Vidas وكذلك هو عبارة صيغة أو نموذج سحري .

41 - Demenase (J) Le troisieme Lirre du Dinkant, trad due Pehlevi, paris. 1942 , P. 122 .

42 - Anquetil Du Perron, Morale de zoroastre, extraite de Zend- Avesta. Paris , 1850 , P. 10 .

٤٣ - هذه الكلمة تقترب من اسم لروح شريرة هي Zanak-Minai حيث ان الفرس القدماء يقرؤونها Ganak Mihavad .

٤٤ - هذه الكلمة متحللة من الكلمة Nasu والذي تعني الشيطان الذي يستحوذ على الجنة .

٤٥ - ازد Ized في الزند Yazata وهو اصطلاح عام يشير إلى الكائنات السماوية او الربانية والجمع هو Yazdan ، ثم أصبحت هذه الكلمة عند الفرس أسماً من أسماء الله .

٤٦ - بكان Bakan : عند الفرس Baga ، كذلك تعني الارواح الأخرى الذي تتعاون معه وهذا ما نراه موجودا في الديانة الزرداشية ، حيث تعني هذه الأرواح Ized أو Ansha-spantaوالملك داريوس او دارا في أحد نقوشه يتكلم عن اهورا – مزدا ، حيث يشير أحد النقوش "الإله الأكبر هو اهورا – مزدا أنه الإله الأكبر بين الإلهة الكبرى ومن المحتمل أن الديانة الفارسية في عهد الملك دارا تعرف تقريبا أو كليا الاصطلاحات التي ذكرتها الافستا عن ذلك أنظر